

الحالة الثقافية والفنية :

وعلى الرغم من الاضطراب السياسى الذى ساد عصر النبأى ، فقد ازدهرت فى المقابل حركة التأليف ازدهارا كبيرا . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن الناس أقبلوا على التعليم - وليس العلم - فانتشرت المدارس ، وراحت كل أسرة تدفع بأبنائها لسرعة الحصول على (إجازة) تكون سلاحا على غدر الزمان ، أو سلما إلى دروب الكسب ، أو وجهة بين الأتراب . وتحت إلحاح هذه الرغبة المشرهة ، أقبل الأساتذة والمعلمون على (التصنيف المنهجى) وهو نوع من التأليف ، يتميز باصطياد عدد من نصوص المؤلفين القدامى ، وبعض المحدثين الغاضلين ، وترتيبها على نحو معكوس ، ثم إخراجها فى ثوب قشيب ، وتوقيع اسم المصنف عليها مصحوبا بأعلى الألقاب العلمية ، المتعارف عليها فى الأوساط الأكاديمية .

أما حركة الترجمة فلم تكن على نفس المستوى ، إذ اعتبرها معظم العلماء مجلبة للأفكار الأعجمية التى تزين لأبناء الأمة حياة الأهداء ، ومن ثم فقد رفضها المجتمع رفضا بدون تبرير . وبعض الذين تعاطوها تحايلوا على ذلك بنقل الكتب الأعجمية نقلا غير أمين ، ونسبوها بعد تحريفها إلى أنفسهم ، باعتبار أنها من تأليف هم أنفسهم ، وبالتالي فقد تجنبوا اللوم ، وتميزوا فى القوم !

وقد انتشر فى ذلك العصر حب الغناء ، وكثر المطربون والملحنون إلى حد أن أصبحت لهم نقابات ، وتلقف الناس أغانيهم ومواويلهم بكل لهفة ، وصاروا يرددونها فى كل زفة ⁽¹⁷⁾ وتسابق الناس فى إحياء الحفلات ، مما ساعد على غلاء أجور المطالين والزمارين

والراقصات .

ويذكر المصنجهانى أن قريته (صنجهانة) وحدها كانت تضم ثلاثمائة ألف مطرب ومطربة ، مع أن عدد سكانها كلهم لا يتجاوز ثلاثمائة ألف وخمسين نسمة⁽¹⁸⁾ ، ويعلق مسعود الأطرش - وهو معاصر المصنجهانى - بأن هؤلاء الخمسين هم أسرة المصنجهانى نفسه : حاول أن يستثنىها من السوء ، فما زاد على أن جعلها تعيش فى وسط موبوء ، على أن المصنجهانى نفسه كان ذا خفة فى عقله ، ولما ينبغى أن يوثق فى نقله⁽¹⁹⁾ .

ومهما يكن من شئ ، وعلى الرغم من تحامل مسعود الأطرش على معاصره المصنجهانى ، فإن كليهما يثبت تجنب أهل العصر للصراع ، وميلهم الشديد إلى تشنيف الأسماع !